

## رسالة عيد الميلاد المتواضعة

### الأرشمندريت جورج كابسانيس

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في كل سر تدبير الرب المتجسد، الذي اختبرناه اليوم وتمتعنا به حقاً، كما في اجتياز الصوم المقدس بنجاح والوصول البهيج إلى هذا العيد الذي يسميه الذهبي الفم حاضرة الأعياد [أي: أم كل أعياد الكنيسة]، فإننا نتعجب من محبة الله الأب تجاه خليقته الإنسان. ونحن لا نتعجب فقط، بل نندهل عندما نرى أن الله الكلي الصلاح، الغني في لاهوته، دخل في فقر الجسد البشري ومرضه، ليمنحنا نعمته والاتحاد به. لكن ما يترك انطباعاً خاصاً فينا هو أن الرب يكشف عن نفسه للنفوس المتواضعة. الرعاية الذين رأوه كانوا متواضعين وبسيطي القلب. وكان يوسف، خطيب والدة الإله الكلية القداسة، متواضعاً أيضاً. وكانت والدة الإله نفسها ممتلئة تواضعاً. لكن حتى المجوس القادمون من المشرق، مع أنهم كانوا حكماء، إلا أنهم كانوا أيضاً يتمتعون بنفوس بسيطة ومتواضعة. على العكس من ذلك، فإن الأشخاص الذين كانوا يثقون في أنفسهم، في منطقتهم، في قدراتهم، في حكمتهم، في سلطتهم الدنيوية، مثل هيرودس وحكام إسرائيل والطبقة الحاكمة في أورشليم، لم يتمكنوا من رؤية يسوع ومقابلته، مع أنهم بذلوا جهوداً يائسة، لأنهم أرادوا إهلاكه.

وهذا يا إخوتي وأبائي يحدث في كل جيل. كل نفس متواضعة، كل نفس بسيطة يمكنها أن تلتقي بيسوع المتواضع وتعرفه وتتحد به. ولكن أيضاً كل نفس متكبرة مكتفية بذاتها وتذكي نفسها لا يمكنها أن تلتقي بيسوع المتواضع وتعرفه وترتاح فيه. ولأن يسوع متواضع، فإن المتواضعين وحدهم هم من يمكنهم أن يختبروه.

وأعتقد أن هذا شأن يهّم حياتنا المسيحية كما يهّم حياتنا الرهبانية. لقد جئنا إلى هنا، إلى الجبل المقدس، مثل المجوس القادمين من المشرق أو مثل الرعاية الذين سمعوا من الملاك أنه قد ولد الرب يسوع المسيح. وقد جئنا إلى هنا لنعبد يسوع المتواضع ونعيش بالقرب منه طوال حياتنا. يا لها من نعمة عظيمة حقاً! أن نجعل عمل حياتنا العيش باستمرار مع يسوع. لكن ما سيسهل لقاءنا وحديثنا اليومي مع يسوع المتواضع هو تواضعنا. حتى لو خرجنا من العالم وتخلينا عما تركناه، فإنه دون أن ننمي في قلوبنا التواضع المبارك لن يكون لنا مكان مع يسوع المتواضع.

لذلك، فلنطلب هذه النعمة اليوم من يسوع المتواضع؛ ليمنحنا أيضاً هذا التواضع المبارك، لا مظهر التواضع، ولا أشكال التواضع الخارجية، بل القلب المتواضع العميق، الذي يشرح لنا آباؤنا القديسون معناه. ولنطلب منه أيضاً أن ينير بنور محبته ورحمته ونعمته ديرنا والجبل المقدس، بل أيضاً وطننا والعالم أجمع، لأنه حيثما يأتي يسوع المسيح يكون النور والسلام والفرح. ويسكن في قلوب البشر. كما في كل عيد عظيم، من الطبيعي في هذه السنة أيضاً أن نوجه أنظارنا نحو جميع إخوتنا الذين يعانون ويتألمون ويعيشون لحظات صعبة من حياتهم. هناك العديد من إخوتنا الذين يعانون اليوم في العالم، في جميع أنحاء الأرض. لنطلب من الرب اليوم بشكل خاص أن يعطي شعاع رجاء لجميع المتألمين، عزاءً ونوراً. لكن قبل كل شيء، لنطلب منه أن ينير أصحاب النوايا الحسنة الذين لا يعرفونه، ليتعرفوا عليه، ويعيشوا في نور محبته وفرحه وسلامه. نتمنى للجميع البركة الغنية من ربنا وإلهنا المولود الجديد.

Source: Αρχ. Γεώργιος Καψάνης. Στη γέννηση του Χριστού. "Ομιλίες σε ακίνητες Δεσποτικές και Θεομητορικές Εορτές", Έκδ. Ι. Μ. Οσίου Γρηγορίου, Άγιον Όρος 2015, σελ. 59.